مقدمة في ظاهرة التغيير

بقلم الدكتور
إبراهيم عباس



دار بلنسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـــاء والمرسلين ... سيدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصـــلاة وأتم التسليم.

أما بعد:

فإن موضوع التغيير قد طرق كثيرًا ولا شك، وأنى لمثلـــي أن يأتي فيه بجديد، ولكن التركيز عليه — أو قُلْ — التذكير به في مثـــل هذه الظروف الحرجة التي تمر بها أمتنا يعتبر من أهم المطالب.

ذلك لأن ظاهرة التغيير أصبحت من الظواهر التي تشغل حيزًا كبيرًا من تفكيرنا، بل لقد أصبحنا نوجس خيفة في أنفسنا من شبح التغيير، رغم أن التغيير إلى الأفضل في مثل هذا الواقع المؤلم الـــذي نتجرع مرارته يعد ضرورة مُلحةٌ لا يختلف فيها اثنان.

ومن أجل هذا ... كان من الضروري معرفة الطريق الصحيح الذي يتم به التغيير حتى لا تزل فيه الأقدام.

ومن باب المشاركة والدلالة على الخير أحببت أن أساهم بهذه المقدمة المتواضعة لعلها تفتح الباب لدراسة هذه الظاهرة وتقويمهـــا ... والله المستعان.

أبو زكريا

جيزان ٣/١-/١٤١١هـ

توطئـــــة

مع كثرة المتغيرات في حياتنا الراهنة، أصبح يخيل للناظر أن كل شيء من حولنا يتغير ... الصديق يصبح عدوًا أو العكس، والغـــني يصبح فقيرًا أو العكس ... والمصلح يصبح مفسدًا أو العكس ...

تغيرات كثيرة نشاهدها في الأفراد وفي الأمم.

نشـــاهدها في الســـلوك، وفي الأخـــلاق، وفي المنـــاهج، وفي النظريات، بل حتى في النظرة إلى الإنسان ... والتي يغلب ما تكون مصدرًا لنظريات عامة في العلاقات الإنسانية.

أيها القارئ الكريم ... لقد أصبحنا نخاف أن تتحول قلوبنـــا وتتغير في أي لحظة، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُـــولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال: ٢٤].

نسأل الله أن يثبتنا على دينه ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨].

سبحان الله! حتى تفكيرنا أصبح يتغير من وقت لآخر لأسباب كثيرًا ما نجهلها.

ليس هذا فحسب ... بل إن التغيير أصبح دعـــوى عريضـــة يدندن حولها البر والفاجر، وتدبج هذه الدعوى بعنـــاوين لامعـــة ولافتات براقة كالتقدم ومسايرة العصر وغيرها.

ومع أننا نعلم أن التغيير ليس مرفوضًـــا مطلقًـــا في تصـــورنا الإسلامي، لأن الإيمان ذاته حركة، يزيد وينقص، ولأن ديننا صالح

لكل زمان «وهذه هي أساس نظرية التغيير في الإسلام». إلا أننـــا يجب أن ندرك أن للتغيير حدودًا وللثبات معالم.

ولهذا كان لا بد من إلقاء الضوء على هذه الظاهرة أو التنبيـــه إلى ضرورة دراستها لأن بعض الأعداء أصبحوا يطمعون في النيـــل من الإسلام وأهله من باب التغيير تحت مظلة تغيير بنية المجتمعـــات على حد تعبيرهم، ولقد وصل الأمر ببعضـــهم إلى أنهـــم يعـــدون المخدوعين بهم من السذج بأن الفتاوى الشرعية، والأحكام الفقهية التي تضيق عليكم الخناق سوف تتغير مع الزمن ثم تجدون دينًا يوافق أهواءكم ... بل ويشجعكم على التحرر والانطلاق!

أسباب دراسة هذه الظاهرة

إلى جانب هذا فإن هناك أسبابًا أخرى مهمة تدعو لدراسة هذه الظاهرة ... منها على سبيل المثال:

١- حتى يعلم المسلم ما هو الثابت وما هو المتغير في منهجـه وسلوكه.

٢- حتى يعلم المسلم ما هي القوة التي تملك حق التغيير، ومـا هي القوة التي تمارس التغيير اليوم في أحداث العالم بل وفي جغرافيته.

٣- حتى يعلم الأساليب التي يتم بها التغيير التدريجي في أوضاع الناس ومجتمعاتهم، وكيف يدرب نفسه على فضـح المخططـات المستقبلية، أو يعمل على تفاديها، ولا يفاجأ بالأحـداث الكـيس الفطن.

٤- تنبعث أهمية هذا الموضوع من حقيقة هامة.

هي أن أحداث التاريخ وأسباب المتغيرات تخضع لتوجيه التشابه في الأحداث. قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُـمْ قَـوْمٌ طَـاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فالتاريخ يعيد نفسه، والأحداث تتكـرر، وخـالق العبـاد وأفعالهم — جلت قدرته — هو الذي يوجهنا في القرآن الكريم للنظر في السنن والاستفادة منها: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْـفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿لَقَدْ كَـانَ فِـي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

٥- لا ننسى أن من أهم حقائق هذا الدين أنه لا يقوم إلا بجهد البشر أنفسهم، فهم الذين يباشرون التغيير وذلك بعد مشيئة الله عز وجل لأن «**قلوب بني آدم كلها بين أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**». [رواه مسلم].

٦- يجب التنبيه إلى أن التطور إلى الأفضل منشود ومرغـــوب ومحبب للناس وهو في نفس الوقت القميص الذي يغلف به الأعداء دعواهم الباطلة التي يريدون من ورائها نبذ كل قديم ولـــو كـــان حسنًا، ولو كان عقيدة، ولو كان شرعًا ... والأخذ بكل جديـــد ولو كان سيئًا، ولو كان كفرًا ولو كان محرمًا. والنتيجة هي تحـــرر المجتمع من قيود الدين على حد تعبيرهم.

والذين يطالبون بهذا الأمر يتحمسون له غاية الحماس، يدافعون عنه بألسنتهم وأقلامهم في كل مجلس وفي كل مناسبة. ففي كل يوم كتاب، وفي كل صحيفة مقال.

أقوال بعد هذه المقدمة اليسيرة

لتعلم – أخي الكريم – أن الثبات سواء في الأفكار والمشاعر، أو في السلوك والتصرفات ... لا بد أن يصدر من مصدر ثابت وإلا أصابه التغيير، ولذلك فمن المهم هنا أن نعرف – كذلك – الوضع الطبيعي قبل التغيير ... وإذا تصورت دائرة ذات مركز معين فـــإن التغيير المقبول لا بد أن يحدث داخل هذه الـــدائرة وفـــق حركـــة منتظمة.

أوضِّح فأقول:

إن المركز الثابت في منهجنا الإسلامي هـــو العقيـــدة في الله، والمحيط حوله يمثل تعاليم الإسلام وحدود الشريعة الـــتي جـــاءت بمقاصد عظيمة لصالح أتباعها ولا يكون خارج هذا الإطار من أي جهة كانت إلا الدمار الناتج عن الجهل والهوى ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية: ١٨].

وحيث أننا نحن المسلمين أصحاب منهج ثابت فإن هذا الثبات لا يعني الجمود وعدم التقدم.

كما أن الرجوع والعودة إلى هذا المنهج – بعد أي إعراض عنه – لا يعني التخلف والرجعية كما يدعي أعداء الدين من العلمانيين الذين – ربما كانوا ممن يفهمون جيدًا هذه الحقيقة، ولكنهم يقلبون لنا الحقائق في زمن أصبح الكثير لا يستقي أفكاره ومفاهيمه إلا من حوضهم الآسن وأبواقهم المسمومة.

كيف يحدث التغيير؟

أخي الكريم: لعلك قد أدركت من خلال ما سبق أن الوضـــع الطبيعي قبل التغيير هو الحركة المنتظمة حول مركز ثابت ولكن قد يدور بفكرك الآن سؤال مهم ... هو كيف يحدث التغيير [1]؟

والجواب هو أنه يحدث بإحدى ثلاث طرق:

الأولى: إلغاء المركز الثابت:

أعني: محاربة العقيدة والخروج عنها وطمس معـــالم الفطـــرة والانحراف بها.

وهذا يمثل حربًا جريئة للدين يَبْعُدُ أن يرضى بها المجتمع المسلم مهما بلغت به حالة الضعف والتقصير. ولذلك يحاول الأعداء تجنب هذا الطريق، وخصوصًا في المجتمعات التي لا تزال فيها بقيـــة مـــن احترام الدين وتعظيمه.

ولكنهم يسلكون طرقًا ثانوية أقل جـــرأة في معـــاداة الـــدين كمحاربة الدعاة والمصلحين، وتشويه سمعتهم، ونشـــر الشـــائعات ضدهم، ومحاولة صد الجماهير عنهم، وتوسيع دائرة أدنى خـــلاف بينهم، وتضييق الخناق عليهم في نشر دعوتهم، وإيجاد العراقيـــل في طريقهم ... إلخ.

---

(١) والحديث هنا عن التغيير السلبي لأنه أول تغيير يحدث، إذ الأصل في الفطرة الخير، والشر طارئٌ عليها.

الثانية: الخروج عن الإطار:

وأعني بذلك المقاصد الشرعية والأحكام المبنية علـــى تحقيـــق المصالح للناس والخصائص المميزة في المنـــهج الإســـلامي، وذلـــك كإهمال تطبيق بعض الحدود أو إيجاد أنظمة ليست مســـتمدة مـــن الشريعة أصلاً.

الثالثة: عدم الانتظام في الحركة:

فهي إما أن تكون:

أ- حركة عشوائية:

مرة مع المنهج، ومرة ضده، حسب الأهواء. وهـــذه تصـــدر غالبًا من قلب مريض. وكم رأينا من أمثال هذا النـــوع كـــثيرًا، كالذين يطرون الطغاة بجميع أنواع المدح والثناء، وبعد هلاكهـــم يكتبون المذكرات على خيانتهم للأمة وعبثهم بمقدراتها... وكالذين ينظمون القوافي في مديح القوميين ثم إذا فضحهم الله قلبوا الـــوزن والقافية.

ب- حركة ضيقة جدًا:

وهذه ينتج عنها التشدد والغُلوّ في الدين الذي نهى عنه نبينـــا محمد ﷺ بقوله: «**إياكم والغلو**» وقولـــه: «**هلـــك المتنطعـــون**» [رواهما مسلم]، وأي غلو يحصل من بعض من ينتسب إلى الإسلام، فإنه لا يصح ولا يصلح أن يلصق ببقية المسلمين، فإن دين الله مـــن هذا النهج براء.

ج- وحركة واسعة جدًا:

وهذا هو الإهمال الذي ينتج عن المبالغة في التيســـير واتبـــاع الهوى ... وهو من الأبواب التي يدخل منـــها الأعـــداء فتـــراهم يرددون أن الدين يُسر وفيه مرونة وليس تزمتًا وتشددًا ... ولذلك يحرصون على جمع الفتاوى التي توافق أهواءهم ... فالحكم بغير ما أنزل الله كفر دون كفر، والغناء لم يرد نص صحيح صـــريح في تحريمه، وحديث البخاري فيه منقطع، والحجاب لا يشمل الوجـــه والكفين فهكذا فسَّر ابن عباس رضي الله عنه ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ والفوائد البنكية والمصرفية ليست من الربا واختلاط المرأة بالرجال في العمل لا يضر إذا كانت محتشمة لأن كثـــرة المســـاس تبلـــد الإحساس! ... إلخ. ومثل هذه الأحكام التي تصدر غالبًا عن هوى يوافق شهوات بعض النفوس لا يجـــوز أن تســـتظل بالتيســـير أو تتقمص بسماحة الدين، لأن ذلك تعدٍّ على النصوص وتجنٍّ علـــى المقاصد الشرعية وهدر لمصالح العباد. والصحيح هو أن: «الأصول الثابتة هي التي تحكم الصور المتغيرة، وليست المتغيرات هي الـــتي تحكم الثوابت، وتلك هي الفكرة الرئيسية في "الاجتهاد" لاستنباط أحكام متجددة من الأصول الواردة في الشريعة، لمواجهة ما يجد في حياة الناس من أمور، وبهذا تنطلق الحياة في تجدد دائم ونمو مستمر دون أن تفقد ارتباطها بالأصول الثابتة في حقائق الأزل وفطـــرة الإنسان»[1].

(١) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص٢٢٣.

التغيير قسمان:

أيها القاري الكريم ... أعود فأذكرك بأن التغيير لـــيس شـــرًا محضًا بل هو قسمان:

القسم الأول:

التغيير إلى الأفضل: وهو التغيير المطلوب وهو الإصلاح، وهذا هو الأصل كما قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْـــدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦] وصلاحها يكون بطاعة الله واتبـــاع دينه، وفسادها يكون بالإعراض عن شريعته، وهذا النوع من التغيير يكون في حياة الأفراد بالاستقامة والصلاح والثبات علـــى الهـــدى والإيمان ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَـــكَ**﴾ [هـــود: ١١٢] ويمثله التوبة الصادقة النصوح كلما قصر الفـــرد في الطاعـــات أو انتهك المحرمات، ليبقى على الهدى المستقيم، وهذا الصـــنف مـــن الناس هم الذين مدحهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠].

كما يكون في حياة المجتمعات باستقامة المجتمع وتلاحمه، كمـــا كانت الحال في المجتمع الأول الذين قال الله عـــز وجـــل فـــيهم: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ أُولَئِـــكَ هُـــمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَـــنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ**

عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠]، وصور هذا النوع من التغيير كثيرة، وحسبنا هنا أن نكتفي بذكر صور عامة وفق التدرج الزمني في حياة الأمة، فمن أمثلة ذلك:

١- إرسال الرسل ... فهو صورة من صور التغيير، قال الله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢١٣].

٢- ظهور الإسلام كرسالة خاتمة ونسخه للرسالات قبله صورة أخرى من صور التغيير التي اقتضتها حكمة المولى – سبحانه وتعالى – قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقد كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ثم كانت بعثة نبينا محمد ﷺ إلى الناس عامة كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣- تغير المجتمع الجاهلي إلى مجتمع إسلامي مَلَكَ الدنيا، وقاد الأمم، هو صورة تدعو إلى التفكر فيها وفي أبعادها لمعرفة طرق الإصلاح التي يتم بها التغيير في حياة المجتمعات، وطرق التربية التي قد تستغرق زمنًا ليس بالقصير لتكوين القاعدة الصلبة التي تقوم عليها الدعوة إلى الإصلاح.

وهذا المثال يصلح من جميع الجوانب أن يكون مثالاً أساسيًا لتغيير المجتمعات بعده، إذ أن مجتمع الصحابة الكرام يمثل المنارة المشرقة والغُرَّة الوضاءة في جبين التاريخ، ولذلك يعتبر المقياس الصحيح الذي يجب أن نتطلع إليه المجتمعات التي تنشد التغيير إلى الأفضل.

٤- وجود المجددين المصلحين كلما ابتعد الناس عن منهاج النبوة وقل الخير وعزَّ أهله وكثر الشر ودُعاته، كما في الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» [رواه أبو داود بإسناد صحيح](١). مع ملاحظة أن «التجديد المقصود المنشود ليس تغييرًا في حقائق الدين الثابتة القطعية، لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين»(٢).

القسم الثاني:

التغيير المرفوض: وهو الخروج عن الفطرة، والإفساد في الأرض، ويكون هذا الانحراف في حياة الأفراد والمجتمعات.

ففي بيان الانحراف الفردي يقول الله عز وجل: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾

(١) انظر تخريج الحديث في كتاب التجديد في الإسلام ج١ ص١٤-١٧.
(٢) المصدر السابق صفحة ٤٢.

[النحل: ١٠٦]، ويقول: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وفي بيان انحراف المجتمعات ذكر الله عز وجل قصص أقوام كذبوا رسلهم وأعرضوا عن شرع الله فكان عاقبتهم الدمار ... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٣، ٥٤]، وذكر أقوامًا آخرين بدلوا نعمة الله كفرًا فكان جزاؤهم زوال هذه النعم ولنأخذ مثلاً قول الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وإذا أردنا أن نفصل القول في انحراف الأفراد والمجتمعات فإني أخاف أن أخرج عن المقصود من هذا المقال، ولكن حسبك أيها القاريء العزيز أن تعلم أن التغيير بقسميه إنما يحدث وفق سنن إلهية قدرها المولى عز وجل، ولعل من المناسب هنا أن تقف على بعض منها:

سنن في التغيير:

١- إن التغيير بقسميه السابقين سواء في حياة الأفراد أو في حياة المجتمعات يرتبط ارتباطًا وثيقًا بإصلاح النفوس أو إفسادها ...

كما قال عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّـــرُوا مَـــا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، وكما قال: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَـــمْ يَـــكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الأنفـــال: ٥٣].

٢- إن نتيجة التغيير في الدنيا مرتبطة بمقدار الجهد المبـــذول — بغض النظر عن نوع التغيير سواء كان من الحسن إلى الســـيء أو العكس — قال الله تعالى: ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٠].

أما في الآخرة فتختلف النتائج بحسب نوع التغـــيير ... قـــال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦]. وقال: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَـــى النَّـــارِ أَذْهَبْـــتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَـــا كُنْـــتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وبهذا نعلم أن الذين يحسنون التغيير في الجانب المادي فقـــط، ويهملون الجانب الروحي، فإن هذا لا ينفعهم ما داموا معرضين عن شريعة الله عز وجل كما قال — تعالى — فيهم: ﴿**فَلَمَّا نَسُـــوا مَـــا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٤].

٣- إن تغيير المجتمع المسلم من الضعف إلى القــوة مرهــونٌ بالتمسك بشرع الله وليس بكثرة العدد والعُدَّة كمــا في حــديث ثوبان: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تــداعى الأكلة إلى قصعتها»، قيل: يا رسول الله! أمن قلةٍ يومئذ؟ ... قال: «**لا، ولكنهم غُثَاء كغُثَاء السيل**...» الحديث [رواه أحمد بإســناد صحيح].

٤- إن حالات الفتن تنتشر فيها هذه الظاهرة كثيرًا ويكــون فيها التغيير سريعًا كما في الحديث: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطــع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كــافرًا أو يمســي مؤمنًــا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا» [رواه مسلم]. ولــذلك يستغل الأعداء هذه الفرصة المواتية لهم ليطرحوا ما يشــاؤون مــن أُطروحات التغيير.

أما في الحالات العادية فإن التغيير يحصل ببطء شديد لا يتنبه له أحد مع انشغال الناس بمصالحهم القريبة، وخصوصًا إن كانوا ممــن ابتلوا بسطحية التفكير كحال كثير من شــعوبنا الإســلامية ... والأعداء يستغلون هذا الأسلوب في إظهار كــثير مــن المفاســد والشواغل التي تشغل الأمة المسلمة عن ذكــر الله وعــن الجهــاد ويصفون هذا الأسلوب:

(Slow But Sure) «بطيء ولكنه أكيد المفعول».

أخي المسلم: لعلك وأنت تقلب النظر في حال هذه الأمة، وما بليت به من نكبات لتهفو نفسك وتتطلع إلى رؤية ذلــك المجتمــع

الأول الذي كان بالفعل يمثل القمة الشامخة في تـــاريخ الإنســـانية، ذلك المجتمع الذي عاش بين ظهرانيه الرسول القدوة محمد بن عبـــد الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، والذي بدأت نقطـــة التحـــول الأولى فيه من اللحظة التي اختار فيه النبي الكريم ﷺ لقاء ربه علـــى هذه الدنيا الفانية يوم عبر عن ذلك الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله: «وإنا لفي الدفن حتى أنكرنا قلوبنـــا» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

ولكن هذا التحول لم يكن ليستمر مع وجود النخبة المصطفاة الذين ربَّاهم النبي محمد ﷺ على عينيه ... فكانت الخلافة الراشدة الزمام الذي حفظ الله لهذه الأمة به استقامتها على ذلـــك المنـــهج القرآني الفريد.

وفي أواخر عهد الخلفاء الراشدين أصيبت وحدة العقيدة بصدع عظيم من جراء ظهور البدع التي كادت أن تشتت وحدة الأمة لولا أن الله عز وجل قد قيض للمبتدعة من يصـــد شـــرورهم ويفنـــد أباطيلهم ويظهر راية السنة منشورة شامخة ... وبعد انقضاء القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالفضل دخلت الأمة في مرحلة مـــن التغيير أقل في الفضل بكثير من سابقتها غير انه لم يزل الخير غالبًـــا فيها. إذ يسر الله لها من الخلفاء العظام من اجتهد أن يعيدها سيرتها الأولى ... حتى بلغت مرحلة من السيادة كانت فيها حديث العالم أجمع حيث كان في الخلفاء قوة وتمسك بـــالحق وعنايـــة بالجهـــاد واهتمام بالعلم ومناصرة للسنة وقمع للبدع فاستثمروا خيرات البلاد وثرواتها في الفتوح والدعوة إلى سبيل الله، حتى اتسعت رقعة العالم

الإسلامي ووصلت الفتوحات في عهد الخلافة العثمانية إلى إيطاليـــا والمجر وألبانيا، فهزت جيوش المسلمين عروش ملوك أوربا، وفتحت القسطنطينية، واستولت على كثير مـــن جـــزر البحـــر المتوســـط وسيطرت على الملاحة البحرية فيها.

ثم كان ما كان، يوم أُسقطت الخلافة، وانتفشت العلمانيـــة، وحورب الدين، وتمزق العالم الإسلامي إلى دويلات متفرقة، سادت فيها النظريات الإلحادية، ووزعت ثرواتها وخيراتها علـــى اليهـــود والنصارى، وحصل للأمة ما تعلـــم خـــلال دراســـتك الضـــعف والتخالف سمة من السمات المميزة للأمـــة الإســـلامية في العصـــر الحاضر، وينعتونهم بالدول النامية! والعالم الثالث!

أخي الكريم: وعند التفكير في الحال التي وصلت إليها الأمة من التمزق والشتات والضياع تجد – ولا شك – جـــذوةً في القلـــب تطالب بالتغيير وتلح عليه ... ولكن! قبل أن تعـــرف الـــتغيرات المطلوبة منا، سواءً على المستوى الفردي أو على مستوى الأمـــة، أليس من الضروري أن تقف على الوسائل التي يمكن أن يتم مـــن خلالها التغيير؟!

إذًا فإليك ... أهمها:

وسائل التغيير:

١- العلم:

وأعني به العلم الشرعي والعلم المادي، وأساس ذلـــك العلـــم الشرعي فبالتزامه والسير على منهجه الصحيح تنبثق عنـــه، دعـــوة

لأخذ حظٍ من العلوم المساعدة المادية وغيرها مما تحتاج إليه الأمــة، ولا أخالك في حاجة إلى طرح الأمثلة، وحالنا الذي صرنا إليه خير شاهد ... يوم فقد التعليم أهدافه الســامية وغاياتــه العظيمــة، واختلطت فيه الأوراق ... في كثير من بلاد المسلمين.

ولقد شرعنا زمنًا طويلاً تكاد تكون فيــه مقــررات العلــوم الشرعية معدومة في كثير من بلدان العالم الإسلامي إلا من رحم الله وقليل ما هم، وحتى تعلم الفارق انظر اليوم ومع هــذه الصــحوة العامرة المباركة إلى حلقات تحفيظ القرآن الكــريم في كــثير مــن مساجد العالم الإسلامي ... انظر إليهم يعودون إلى النبع الصــافي والنهج السليم.

وانظر: جمعًا ليس بالقليل من شباب الأمة قد عادوا إلى العلماء والمشايخ، يرابطون في حلق الذكر، ومجالس الإيمان، مما يبعــث في النفس الارتياح، ويضيء فيها بارقة الأمل.

أما عن العلم المادي فلا يخفاك حالة أوربا في العصور الوسطى والتي يطلقون عليها هم أنفسهم بأنها عصور الظلمات والجهل، يوم كان الرجل الأبيض – كما يسمونه – يعيش في معزل عن العــالم وفي منأى عن الحضارة، ثم إذا بهم اليوم قادة هذا المضــمار ينظــر إليهم كثير من أبناء الإسلام بعين الإجلال والإكبار.

فهل تحسب أن هذا التغيير حدث بدون جهد مبذول أو بدون علم مكتسب وإن كانوا كما قال الله عز وجل عنهم: ﴿**يَعْلَمُــونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧]

إلا أنهم غيروا من أنفسهم عبر هذه القناة التي هي من أهم قنـــوات التغيير.

أنسيت ما أسموه بعصر الإحياء ... أي إحياء العلـــوم والآداب اليونانية والرومانية القديمة والاستفادة منها، والتي أدت إلى تغييرات جذرية في فكر وأوضاع المجتمع الأوربي ...

أم نسيت ما أسموه بالمنهج التجريبي الذي نسبوه ظلمًـــا وزورًا إلى «روجر بيكون» وهو منهج إسلامي نبغ فيه علماء المســـلمين واستفاد منه علماء أوربا في أبحاثهم العلمية إلى يومنا هذا.

أم نسيت حركة الإصلاح الديني [١] التي كانت حربًا شـــعواء على الكنيسة حين وقفت حجر عثرة أمام التقدم العلمي واحتكرت حق تفسير «كتابهم المقدس» وحاربت العلماء.

أم نسيت الثورة الصناعية التي كانت ثمرة من ثمار التقدم العلمي بدأت في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وما زالت الصناعات في تقدم مستمر إلى يومنا هذا؟

وإن نسيت ...فلا تنس التخطيط والتنظيم الذي يتمثل واضحًا في الدراســـات المســـتقبلية (PROSPECTIVE STUDIES) والدراسات الاستعادية (PETROSPECTIVE STUDIES)

كل هذه الجهود العلمية كفيلة بأن تنقل أوربا هـــذه النقلـــة

(١) مع الإشارة إلى أن ردة الفعل كانت قوية جدًا وأدت إلى الفصام النكد وظهور العلمانية.

البعيدة ... فهل نتعظ ونحن الأمة التي لم يحارب دينها العلم بل يأمر به ويحث عليه، ويجعله فرضًا ... ولحكمة عظيمة يبدأ الوحي الإلهي بـــ ﴿**اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَـــمْ**﴾ [العلق: ١-٥].

ويقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم في سورة أخرى فيقول: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [القلم: ١].

ثم يمتن على الإنسان بالتعليم في سورة ثالثة فيقول: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: ١-٤].

ويجعل العلم الحقيقي هو العلم الذي يدعو إلى الإيمان فيقـــول جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

ويرفع من قدر طلاب العلم فيقول: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـــوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

ويميز بين من أتوا حظًا من العلم النافع وبين من حرموا بركـــة هذا المورد الزلال فيقول سبحانه: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩].

إذًا ألسنا أمة العلم ... ألسنا أحق بالحضارة ... ألسنا أحـــق بالسيادة؟!

بلى وربي ولكن حقت سنة الله فينا ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَـــكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الأنفـــال:

٥٣] ... غفرانك يا رب، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكـــونن مـــن الخاسرين.

٢- الأخذ بالسنن الكونية في الآفاق، والسنن الاجتماعية في الأنفس:

يقول الله عز وجل: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** [فصلت: ٥٣] ويقول عز مـــن قائـــل **﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** [الذاريات: ٢٠، ٢١].

وسنن الله لا تفرق بين عربي ولا أعجمي، ولا تحابي أحدًا وهي متحققة وفق مشيئته سبحانه، يذكرنا الله عز وجل بهـــا في كتابـــه وعلى لسان رسوله ﷺ لنأخذ منها العبرة ونستفيد مـــن دراســـتها والتأمل فيها حتى لا نُحرم طريق الراشدين، ولا نتبع طرق الغاوين الضالين، وقد تكرر في القرآن الكريم ذلك التعقيب الإلهي في نهايـــة الآيات الذي يقرع القلوب ويصك الآذان: لعلهم يذكرون، لعلهم يتفكرون، لعلهم يتقون، لعلهم يرجعون، كل هذا ونحن معرضـــون ... قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [محمد: ٢٤]، وقال: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** [ق: ٣٧]، والسعيد من وعظ بغـــيره، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ونحن نلدغ مرات ومرات بسبب الغفلة وغلبة الشهوات ...

رحماك ربنا إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحـــول عافيتـــك

وفُجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

٣- استثمار الملكات والقدرات:

من المؤسف جدًا أننا نملك الكثير من القدرات ولا نقـــوم إلا بأقل القليل من الواجبات..

أقل ما نملك: الوقت والفراغ والصـــحبة والشـــباب والأمـــن والخيرات ...كل هذه القدرات لا بد أن تُستغل اســـتغلالاً طيبًـــا موفقًا من أجل التغيير والإصلاح.

ومن رحمة الله – عز وجل – أنه لم يأمر المسلمين بالاستعداد بالقوة المكافئة لقوة الكافرين ... بل قال عز وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، فجعل الإعـــداد بحســـب الوسع والاستطاعة، ويذكرنا الرسول ﷺ بالقدرات التي يجـــب أن ننتهزها لإحداث أقصى ما نستطيع مـــن التغـــيير والإصـــلاح ... فيقول: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصـــحة والفـــراغ» [رواه البخاري] ويقول في حديث آخر: «اغتنم خمسًا قبل خمس، حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شـــغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقـــرك» [أخرجـــه الحـــاكم في المستدرك بسند صحيح].

فما أحسن هذا التوجيه النبوي الكريم وما أجله!

أخي القاريء الكريم: قد لا تصدق أن اليابان قبل قـــرن مـــن الزمان كانت تعيش في عزلة وتخلف ... ثم أصـــبحت اليـــوم في مصاف الدول الصناعية الكبرى، وفي عداد الدول المتقدمة، مع أنها

دولة لا دين لها ورصيدها من الموارد الطبيعية والمقومات الاقتصادية ضئيل جدًا، فكيف حصل ذلك إن لم يكن بنوع من الجد الصـــارم والعزيمة القوية في استخدام الطاقات واستغلال الجهود واســـتهلاك الوقت في البناء والإصلاح.

فإذا كانت هذه الأمة الضالة عن الهدى قد استطاعت أن تفيق من ذلك السبات العميق ... وأن تنهض من تلك الكبوة السحيقة فكيف بأمة القرآن ذات العقيدة والمنهج والسيادة والتاريخ!!!

٤- التربية:

ما أحلى تربية الجيل وتربية الشباب خاصـــة علـــى الجديـــة والشجاعة والبناء واستغلال الوقت واستثماره في الصلاح ... انظر إلى تربية الرعيل الأول على يد المربي القدوة محمد ﷺ، تأمل فـــيمن من قال الله عز وجل فيهم: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِـــنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْـــرَجَ شَـــطْأَهُ فَـــآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ**﴾ [الفتح: ٢٩].

وخُذ من شئت منهم مثالاً يحتذى وانظر في سيرته فهل تجـــد فيها عبث العابثين أو ضياع المترفين أو لهو المفتـــونين أو اســـتبداد الظالمين أو ضعف المتخاذلين أو ذل الصاغرين، كل وألف كـــلا، وإنما تجد فيها عز الإسلام وعلو الهمة وحسن الخلق ورباطة الجأش والحزم في التصرف والصدق في المعاملة والوضوح في المفاهيم، تجد

شفافية الروح وإشراقة الأمل وطراوة الحياء وحرارة الإيمان ونـــور التقوى وبرهان الحجة وصفاء الإخلاص ونقاوة الفطرة.

وهكذا فليكن شباب المسلمين، وعلى هـــذا فلنـــربي أطفـــال المسلمين ليشبوا أشداء على الكفار رحماء بينهم.

إن التربية الحقيقية هي التربية الجادة الصحيحة التي تقوم علـــى أساس الإيمان والتقوى وترتكز على العلم النافع والعمل الصـــالح، وتنفرد بأن مصدرها منهج من عند الله سديد، لا ترى فيه عوجًـــا ولا أمتًا. وأنها فعالة مؤثرة مثمرة تجعل كل مسلم من أفراد الأمـــة جادًا في القيام بالدور المنوط به في سفينة المجتمع يقظًـــا في جميـــع أحواله يسد كل خلل يستطيعه كيلا تغـــرق الســـفينة، متميـــزًا بشخصية قوية مؤثرة. شاعرًا أن هذا الواجب من مقومات كرامته ودعائم سعادته في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ولهذا فإن الأمة ليست في حاجة لاستيراد مناهج تربوية جاهلية قاصرة ضالة لا أرضًا تقطع ولا ظهرًا تبقى ... لأن التربية الإسلامية هي التي تثمر في طريق التغيير إلى الصلاح وتقود إلى الخير والسداد، أما التربية العرجاء سواءً المستوردة أو الملفقة والتي تؤســـس علـــى تضييع القدرات والأوقات عبر وسائل فاسدة ومغريات خبيثة فإنها لا تبني إلا دمارًا على شفا جرفٍ هارٍ يوشك أن ينقض على ذويه.

٥- المجاهدة والوقوف عند حدود الله بفعل الواجبات وترك المنهيات:

مما لا شك فيه أن تغيير النفوس وإصلاح القلـــوب وتوجيـــه

الأعمال وتنظيف الأفكار وتطهير الأدران كل ذلـــك لا يحصـــل بضغط زر من الأزرار، ذلك في التعامل مع الآلات الجوامد، أما في التعامل مع النفوس البشرية فالأمر يحتاج إلى مجاهدة ومجالدة وكبـــد ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فالهداية لا تأتي فلتةً عارضةً من فراغ، بل هـــي متعلقة بالمجاهدةً وأعظم الناس هداية أكثرهم مجاهدة لنفسه.

وحتى المهتدين الأخيار والصالحين الأبرار هـــم في حاجـــة إلى التغيير لما هو أفضل وأزكى ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [محمد: ١٧]. فاطرق أبواب الخير – هداك الله – فإنهـــا متعددة، واعمل بوصية النبي ﷺ لأبي ذر – رضـــي الله عنـــه – إذ يقول: قال لي النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» [رواه مسلم].

٦- تدبر القرآن الكريم:

القرآن الكريم منهج من عند الله يهدي للتي هي أقوم ﴿**وَلَـــوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]، فهو منهج الأمة الخالد ودستورها القويم، وحريٌّ بنا أن نتدبر آياته لأنه هدى ورحمة للمؤمنين، ولأنه شفاء لما في الصدور، وإذا شُفيتْ هذه القلوب فأبشر بحسن التغيير، فالقرآن يخاطب القلب الذي هو محل التغيير فإذا وصل الخطاب للقلب الحي فأبشر بالصلاح والهدى قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» [رواه البخـــاري

ومسلم].

٧- الغنى وكثرة المال:

المال نعمة إذا لم تشكر حق الشكر فإنها تكون سببًا للطغيان والفساد ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾ [الشورى: ٢٧]، وقص الله – عز وجل – علينا في الكتاب المبين قصة قارون فقال: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**﴾ [القصص: ٧٦].

وللذين يعتذرون عن الإصلاح بقصر ذات اليد قد أورد القرآن الكريم مثالاً آخر ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

ولكنا لا نشك في أن الوسيلتين الأخيرتين من أهم وسائل التغيير إذا وفق المسلم لاستخدامهما في طاعة الله، ولذلك كان الحسد فيهما محمودًا كما في الحديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» [متفق عليه].

٨- الولاية:

الولاية وسيلة هامة من وسائل التغيير، يقول الله تعالى مادحًا المؤمنين الصادقين: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ**

الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ويقول جل ذكره في شأن المنافقين ومـــن شـــابههم: **﴿فَهَـــلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُـــوا أَرْحَـــامَكُمْ﴾** [محمد: ٢٢].

قال في «فتح القدير» (٣٨/٥): قال الكلبي: أي فهل عســـيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم (١).

والولاية شهوة تتطلع إليها كثير من القلوب، ولا يصلح لها إلا من قام بأداء الأمانة كما أمر الله عز وجل فأصلح وساعد على نشر الخير ونصره أهله ... أما من أرادهـــا وســـيلة للتـــرف والبـــذخ والاستعلاء على الناس ونشر الفساد والصد عن ســـبيل الله وعـــن الجهاد فإنما تكون عليه ندامة يوم القيامة، كما جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـــال: «**إنكـــم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يـــوم القيامـــة**» [رواه البخاري].

ولذلك فإن من أعطيها وهو كُفْءٌ لها، صادقٌ أمينٌ فأقام شرع الله في الأرض وحرص على طاعته؛ أعانه الله ونصره على أعدائـــه كما وعد – جلَّ وعلا – في قوله: **﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّـــلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّـــهِ عَاقِبَـــةُ الْأُمُورِ﴾** [الحج: ٤٠، ٤١].

(١) وقيل توليتم: أي أعرضتم عن شرع الله.

٩- الدعوة إلى الله عز وجل:

الدعوة إلى الله من أهم وسائل التغيير التي تؤدي إلى استقامة الناس لأنها تردهم إلى حياض الإيمان كلما ابتعدوا عنها ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

فهي من أهم وسائل الفلاح في الدنيا ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ١-٣].

لذا فما أحسن أن يوجه إعلام الأمة في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي ليخدم دعوة الإسلام، إنه وربي لأفضل خيار وأحسن قول ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣].

١٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لما علم الله سبحانه وتعالى ضعف البشر وتقصيرهم وأنهم خطّاؤون قد يحدث منهم تقصير في الطاعات ووقوع في بعض المعاصي، فقد أمر الله أمة الإسلام أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر فيما بينهم لأن ذلك يؤدي إلى الثبات على الخط المستقيم والرجوع إلى الجادة كلما حصل الانحراف ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولأهمية هذه الوسيلة في التغيير فقد ارتبطت خيرية الأمة بقيامها

بهذا الواجب ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]. والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخــص أوصــاف المؤمنين ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْــضٍ يَــأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [التوبة: ٧١].

وكما أن المداومة على القيام بهذا الواجب تــؤدي إلى التغــيير المنشود في حياة الناس فإن القعود والتقاعس عن أداء هذا الواجب العظيم يؤدي إلى الانتكاسة والضياع ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِــي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَــا عَصَــوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وهل يرجى من أمة ملعونة خير أو صلاح؟!!

بل إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب الهلاك، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًــا اللَّــهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّــوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِــيسٍ بِمَــا كَــانُوا يَفْسُــقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

١١- الجهاد في سبيل الله:

الجهاد ذروة سنام الإسلام وهو من أسباب كسب العزة، وما ترك قومٌ الجهاد إلا ذلوا، والصراع بين الخــير والشــر، والكفــر

والإيمان، قائمٌ إلى يوم القيامة ليبتلـــي الله المـــؤمنين، ولـــيمحص صفوفهم، وليمحق الكافرين ويبين كذب المنافقين ﴿**مَا كَانَ اللَّـــهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وإن الإعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به شعبة من شعب النفاق، كما جاء ذلك صريحًا من قوله ﷺ.

ولأهمية هذه الفريضة فإن الأعداء يحاولون بكل جهدهم أن لا ترتفع راية الجهاد في بلاد المسلمين، ويحجبون أعيننا بغشاوة السلام العالمي وعدوى التعايش السلمي، وغير ذلك من دعاواهم، وقـــد فضحهم الله عز وجل في الكتاب المبين إذ قـــال: ﴿**وَلَـــا يَزَالُـــونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْـــتَطَاعُوا**﴾ [البقـــرة: ٢١٧]، وقال: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَـــرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿**وَدَّ كَـــثِيرٌ مِـــنْ أَهْـــلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَـــدًا مِـــنْ عِنْـــدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾ [البقرة: ١٠٩].

إذًا فكيف نصدقهم!! وهذا كتاب ربنا بين أيدينا ينطق بالحق، ويبين لنا نواياهم، ومن أصدق من الله قيلاً.

فالجهاد بنوعيه — جهاد الطلب وجهاد الدفاع — باقٍ إلى يوم القيامة، ووسائله متعددة، فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفســـكم وألســـنتكم**» [رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم].

١٢- الشكر:

فالشكر سبب للتغيير إلى ما هو أحسن، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: ٧].

والشكر المطلوب هو الشكر الكامل الذي يكــون باللســان والقلب والجوارح، وبهذا يكون في معنى الدين كله، كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾ [سبأ: ١٣] قالوا: الطاعات كلها شكر.

فهو إذًا منزلةٌ رفيعةٌ عند الله لا ينالها إلا الخُلَّصُ من المــؤمنين كما قال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣].

لو كنت أعرف فــوق الشــكر منزلــة
أعلى مــن الشــكر عنــد الله في الــثمن
إذًا منحتكهـــا مـــني مهذبـــة
شكرًا على صنع ما أوليــت مــن حســن

وبعد أن استعرضت معك – أخي المسلم – جملة من وسائل التغيير، هل لك أن تأخذ منها بنصيب، وغن شئت أن أكفيك مؤنة التفكير، وألخص لك أهم التغييرات المطلوبة منك، فهــذا واجــب الأخوة والنصح بيننا هدانا الله وإياك إلى طريق الحق، فأقول وبــالله التوفيق.

التغيرات المطلوبة على مستوى الأفراد

١- احرص على التوبة النصوح والعزم الأكيد علـــى التغـــيير المنشود بقدر استطاعتك، فلا تقف! وسر إلى الأمام دائمًا، اجعـــل نصب عينيك من هم أفضل منك في أمر دينك ﴿**أُولَئِـــكَ الَّـــذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾ [الأنعام: ٩٠].

حاول أن تغير من واقعك إلى ما هو أفضل وأصوب وأحســـن وأيسر وأقرب إلى طريق السعادة والفلاح، تذكر أنـــك صـــاحب مبادئ وقيم تريد أن تحققها في واقع الحياة ... تذكر هذا الواجب وأنت في بيتك ومع زملائك وعلـــى مكتبـــك وفي الشـــارع وفي السوق.

أنت أخي المسلم ما خُلقت عبثًا، ولا تركت هملاً ... إن لك رسالة ... وإن لك أهدافًا سامية في هذه الحياة ... فحيـــاة اللـــهو والعبث ليست لأمثالك، وقرناء السوء لا يليقون بـــك، ومـــواطن الفساد لست من روادها، لأنك ذو خلق عظيم، تستضيء في دربك بنور القرآن، وتعيش في رحاب السُّنَّة فتصدع بكلمة الحق حينمـــا يسكت الناس، وتدل الناس على الخير عندما يعرضـــون عنـــه ... وتذب عن أعراض إخوانك عندما تنتهكها ألسنة الظالمين ... أنت مشعل هداية، ودليلٌ سعادة، وصاحب كياسة وفطانةٍ ... فحـــاول إذًا أن تنقل هذه الأخلاق النبيلة إلى أبنائك وبناتك، وجميع أهلـــك وجيرانك.

حاول أن تغرس هذه المعاني العظيمة في نفـــوس أصـــدقائك

وزملاءك في العمل.

حاول أن تكون القدوة الطيبة، وأن تكون للمتقين إمامًا.

٢- تذكر – أخي المسلم – نِعَمَ الله التي أسبغها عليك ظاهرة وباطنة ... فكر في قـــدراتك ومواهبـــك ... منصـــبك الإداري، مركزك الاجتماعي ... المال الذي بين يديك ... الصحة التي تنعم بها ... وترفل في ثوبها، الوقت، تلك الثروة العظيمة التي تمتلكهـــا وقد لا يجدها غيرك ... فكر في مواهبك الخاصة: أسلوبك الجميل، صوتك الجهوري، شعرك الرصين، أدبك الرفيع، وقارك المرغوب، فكرك النير، ثقافتك الجمة، حتى معرفتك بالواقع الجاهلي وحيـــاة الضائعين ... كل هذا حاول أن تغير مسيرته وأن تجعل له هدفًا في حياتك، وأن تضحي به في سبيل مرضاة الله – عز وجل – حـــتى تسعد في الدنيا، وتنجو من عذاب الله في الآخرة.

٣- إن من واجبك أن تعلم أن المسلم يملك ما لا يملكه أحدٌ في هذا العالم من مؤهلات التغيير، وأسباب الإصلاح، ولن يتأتى لـــك هذا الشعور بقراءة كتاب أو سماع شريط إسلامي فحسب، بل لا بد من المعرفة الجيدة بمشكلات العالم وأحوال المسلمين، وأن تـــبني كل ذلك وغيره من توجيهاتك على علم وعقيدة صحيحة ومنهج سليم تقتفي فيه آثار نبيك ﷺ وأصحابه والتـــابعين، لا بـــد مـــن الاهتمام بذلك وأن تشغل به نفسك وأن تتألم حينما يتألم لك أخ مسلم في شرق الدنيا أو غربها، وتفرح لفرحه ونصره أشـــده مـــن إحساسك بما يتعرض له أخو النسب ... لأنه بهذا يتحقـــق ذلـــك

التلاحم ويحصل ذلك البناء الشديد الذي وصفنا به نـــبي الرحمـــة والهدى حينما قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًـــا**» [متفق عليه]، وحينما قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتـــراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تـــداعى لـــه سائر الجسد بالسهر والحمى**» [متفق عليه].

في مثل هذا المعنى يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي:

إذا اشتكى مسلمٌ في الصين أرقني
وإن بكى مسلم في الهند أبكـــاني
ومصر ريحانتي والشام نرجســـتي
وفي الجزيـــرة تـــارخي وعنـــواني

٤- حَوِّل مبادئ الإسلام ومحاسنه التي تتعلمها وتلهج بذكرها وتدافع عنها إلى حقائق واقعية في سلوكك وأعمالك.

٥- كثف جهودك في الدعوة إلى الله لأنها من أحســـن ســـبل التغيير الصحيح في حياة الناس، «ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْرِ النعم» ... فإياك أن تثنيك الشهوات عن ســـبيل الدعوة المنير، لأن التقاعس في ذلك نتيجة معروفـــة ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّـــوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٨].

وإياك أن تقبل المساومة في دعوتك وتذكر أن واجبـــك هـــو دعوة الناس وردهم إلى دين الله القويم، وليس تمييع حقائق الـــدين لتوافق أهواء الناس. ولا يضيرك وأنت تـــدعو انصـــراف النـــاس وإعراضهم عنك فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ**

عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

٦- ابذل غاية الجهد في تحقيق ما يناط بك من أعمال وأدّها على الوجه المطلوب، لأنك على ثغرة، يخشى أن يؤتى الإسلام من قبلك.

٧- الثبات الثبات على دين الله بعد أن منَّ عليك ربك بالهداية. وتذكر وصية رسول الله ﷺ لسفيان بن عبد الله رضي الله عنه: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» [رواه مسلم].

لأن الردة كفرٌ تخسر به أنت ولا يخسر به الدِّين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [المائدة: ٥٤].

٨- استثمر أوقاتك فيما يعود عليك بالخير فإن أيامك محدودة وأنفاسك معدودة.

دقات قلــب المــرء قائلـــة لـــه

إن الحيـــــاة دقـــــائق وثـــــوان

وإن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل أنت فيهما واحرص على أن تزداد حسناتك في كل لحظة آتية، وأن تقل سيئاتك عن كل لحظة ماضية لأنها أوقات محسوبة لك أو عليك.

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هـــدى
ولم استفد علمًا فمـــا ذاك مـــن

واعلم أن الواجبات أكثر من الأوقات ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ [الشرح: ٧، ٨].

٩- فتش عن عيوبك وحاول أن تصلحها وأن تشغل بها نفسك، فإن ذلك من أقوى دواعي التغيير، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، فكُن لها بالمرصاد تراقب منعطفاتها وتدافع هواها حتى تستقيم على الأمر والنهي.

وإياك والاشتغال بعيوب الناس فإنه مفسدة للقلب ومضيعة للوقت ومهلكة لبركة العلم. وحذار من الاشتغال بعثرات الأموات من المسلمين فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا، ولا تدري ما أنت قادم عليه.

١٠- الدعاء الدعاء ... فمن يملك القلوب إلا الله، ومن يصرف القلوب إلا الله، ويكشف السوء إلا الله، ومن بيده مقاليد الأمور إلا هو سبحانه ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢].

فما أكرمه وما أرحمه! يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وينزل كليل ليلة في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا فيقول: أنا الملك أنا الملك، من الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذي يسألني فأعطيه؟ من الذي يستغفرني فأغفر له.

فيا حسرة من ضيع الفرصة، وغفل عن هذا العرض الكريم، من رب غفور رحيم، فالدعاء – أعانك الله – من أقوى الأســـباب في دفع البلاء وحصول الخير.

وعليك بالاستغفار، فإنه يزيل صدأ القلوب ويمحـــو الله بـــه السيئات والذنوب، ويغير الله به من حال إلى حال، ألم تسمع لقول الله – تعالى – على لسان رسوله نوح – عليه السلام –: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾ [نوح: ١٠-١١].

التغييرات المطلوبة على مستوى الأمة

أما التغيرات المطلوبة على مستوى الأمة فكثيرة منها:

١- تصحيح المسار بالعودة إلى الإسلام بقناعة تامة بصلاحيته للنهوض بالأمة، والوصول بها إلى مراكز القيادة.

٢- غرس عقيدة التوحيد في قلوب أبناء الأمة وإيقاظ عواطفهم الدينية، والسير بهم على منهج سلف الأمة، فلن يصْلُح آخر هــذه الأمة إلا بما صلح بها أولها.

٣- رفض المناهج الجاهلية، «غربيــة كانــت أو شــرقية»، وكشف أغاليطها، مع الاستفادة من التخطيط والتنظيم والدراسات الواقعية – بخلاف التحليليــة والتركيــز علــى جانــب العلــوم والتكنولوجيا.

٤- التخلص من قيود التبعية أو التشبه بالكفــار وتصــحيح عقيدة الولاء والبراء في عقول المسلمين.

٥- تحريك همم الشباب والاستفادة مــن طاقــاتهم الشــبابية وإبداعاتهم وقدراتهم.

٦- حمل رسالة الإسلام وعدم التكاســل في ذلــك، لأن في الإسلام قوته الذاتية ... إن ضعفت القوة المكتسبة لدى المسلمين.

٧- ترشيد الصحوة الإسلامية والقيام معها جنبًــا إلى جنــب وتقويمها لتسير وفق ما جاء به نبينا محمد ﷺ والعمل على تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة.

٨- المساعدة على تسهيل وسائل الدعوة ... كالسماح للكتب الشرعية والأشرطة الإسلامية بالنشر والتوزيع حتى يعـــم خيرهمـــا وينتشر فضلهما.

٩- إصلاح الأوضاع المنحرفة ومحاربـــة المنكـــرات في شـــتى الميادين.

١٠- البدء من المرحلة التي نعيشها، ومن خلال المقومات التي نملكها والإسراع في ذلك لأن خير البر عاجله. كاملة في المجتمع ... ثم عدم اليأس في أن النصر مع الصبر وأن العاقبة للمتقين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

